مجلة المنظومة الرياضيـة	ISSN: 2392-5442, ESSN : 2602-540X
مجلة علمية دولية تصدر بجامعة الجلفة_الجزائر	المجلد: 06 العدد: 16 السنة: 2019
تاريخ الإرسال: 19-09-19 تاريخ القبول: 20-09-19	تاريخ النشر : **30-09-2019**

مجموعات الألتراس، سلوك رياضي أم ظاهرة اجتماعية وسياسية ؟

قادة دين (سنة رابعة دكتوراه)

قسم التاريخ، جامعة الجزائر2

eldine.kd@gmail.com

خالد شنوف (أستاذ محاضر أ)

جامعة العلوم التكنولوجيا، وهران

ملخص:

عرفت ملاعب كرة القدم في السنوات الأخيرة بروز أسلوب جديد في تشجيع الأنصار لفرقهم الرياضية، وظهر للوجود ما يسمى ب"الألتراس"، حيث انتشرت الظاهرة في كامل الملاعب العربية، وقد خرجت عن نمط التشجع المعروف تقليديا إلى استحداث طرق وأساليب جديدة أقرب إلى الإبداع الفني والتعبير السياسي، وقد تحولت نتيجة كثير من الظروف والعوامل الموضوعية إلى ظاهرة اجتماعية وسياسية بامتياز، من خلال سلوكاتها الممارسة ومن خلال تأثيرها في الحياة اليومية وفي الأحداث السياسية المعاشة.

تميز هذه الظاهرة مجموعة خصائص ذاتية، اكتسبتها من المحيط الاجتماعي والسياسي، وأفرزت هي أيضا مجموعة تأثيرات وأنماط في الواقع المعاش، وثّقتها أقلام المتابعين والمحللين وكثيرا ما تحدثت عنها الصحافة، وشغل بها الناس.

الكلمات المفتاحية: ألتراس، كرة قدم، جمهور، سياسة، الملاعب.

Abstract :

Football stadiums have been characterized in recent years by the emergence of the fans groups phenomenon's, called "Ultras", where the phenomenon spread throughout the Arab stadiums, It has departed from the traditionally known pattern of encouragement, to develop new approaches closer to artistic creation and political expression, The result of many objective conditions and factors has become a social and political phenomenon with distinction, through its behavioral practices and its influence in daily life and in political events.

This phenomenon is characterized by a set of subjective characteristics, acquired from the social and political environment, and has also produced a set of effects and patterns in the reality of living, It was documented by pens of followers and analysts.

key words : Ultras, Football, stadiums, phenomenon, fans.

المقدمة:

ارتبطت كرة القدم في العقود الأخيرة بظاهرة المشجعين المتعصبين، أو ما يعرف بالألتراس، وباتت جزء من مشهد كرة القدم المألوف، بل صارت في أحايين كثيرة تستقطب أنظار المتابعين وتسلب من كرة القدم اللعبة المعشوقة، احتكار الفرجة والمتعة، وعلى امتداد العالم أجمع أضحت ملاعب الكرة مسرحا لإبداعات المهوسين باللعبة وبفرقهم حد العشق والجنون.

وإن كانت ظاهرة الألتراس ظاهرة عالمية، فإنها في العالم العربي قد تميزت بكثير من الخصوصية، فقد باتت نتيجة كثير من الظروف، ظاهرة اجتماعية وسياسية بامتياز، فطبيعة الدول العربية التي تشهد ظروف معيشية صعبة مصحوبة بحالة من الاستبداد السياسي والقمع وتكميم الأفواه، جعلت من ملاعب كرة القدم متنفسا لمئات الآلاف من الشباب والأجيال الصاعدة، التي باتت تستغل هذا الفضاء لتفجير مكبوتاتها وتعبر عن توقها للحرية، بل لتعبر عن رفضها للوضع القائم الاجتماعي والسياسي، فتنتج أشكالا رائعة من الأهازيج والأغاني.

ما هي يا ترى جذور هذه الظاهرة ؟ كيف تطورت ؟ ما هي دوافعها ؟ وهل هي سلوك رياضي بحت أم ظاهرة اجتماعية ؟ أم شكل من أشكال النضال السياسي ؟

1- الألتراس التعريف والخصائص:

ظاهرة "الألتراس"، ثقافة طرأت على عالم كرة القدم في نهاية القرن الماضي، كان العامل الرئيسي وراء ميلادها هو تشجيع الجمهور لفريقه وتوفير الدعم المعنوي له، عبر التنقل معه أينما حل وارتحل والقيام بأنشطة غنائية وأهازيج معينة جماعية أثناء تشجيعه، وأخذت شيئا فشيئا تصبح سلوكا ملحوظا ومميزا عما يجري في الملاعب من متعة كروية (تفروت، ل، 2015).

الألتراس كلمة لاتينية (ULTRAS) تعني حرفيا الشيء الفائق أو الزائد، وتطلق على التطرف والحد الأقصى في أي ظاهرة أو سلوك أو مقدار فيزيائي، أُستخدمت بداية للدلالة على المتطرفين من أنصار أي قضية معينة يفوق حتى ولاء ومناصرة أصحاب القضية الأصليين لها، وباتت اليوم تطلق اصطلاحا على مجموعات التشجيع الخاصة بكرة القدم، التي تتطرف في حب ومتابعة فرقها الرياضية حد العشق والجنون، وهي تتميز عن الجمهور الرياضي العادي الذي يقصد ملاعب كرة القدم من أجل المتعة والفرجة، وقد يحضر مباراة ويغب عن أخرى، لكنها أشبه بالأخويات التي يقوم بينها نظام خاص وولاء مطلق لهدف معين (تفروت، ل، 2015).

وتشجيع هذه المجموعات أيضا يختلف عن تشجيع الجمهور العادي، بل إنه يمكن القول أنه منذ ظهورها أخذ التشجيع في ملاعب كرة القدم لونا آخر، حيث تعتمد على الأغاني الرائعة الملحنة جماعيا والتي يستغرق في تأليفها وتلحينها وحفظها والتدرب عليها شهورا من تلك المجموعات، بالإضافة للأغاني هناك الرايات الخاصة والقمصان الموحدة، وحتى الاصطفاف والحركات الموحدة والجماعية المتكاملة، والأجمل في كل طقوس الألتراس هو ما أصبح يسمى ب"التيفو"، وهو عرض موحد ساحر يتعاون عليه جميع أفراد المجموعة، يصممونه ويحضرونه

هم، ويشركون في تنفيذه وتقديمه جميع الجهور الرياضي، وهي الظاهرة التي باتت تستهوي الكثير من المتابعين حتى من ليس لهم حب وعشق لكرة القدم، وصارت عنوان وتحلية العديد من المقابلات التقليدية العالمية، أو ما يسمى ب(الداربي والكلاسيكو) (الجويلي، م، بلحاج محمد، ط، 2017، ص12).

ويتميز أفراد الألتراس بخاصية تشجيع فريقهم طيلة المباراة، سواء كان خاسرا أم فائزا، وكأنهم غير معنيين بتاتا بما يجري على أرضية الميدان، بل كأنهم يقودون مباراة موازية على المدرجات، خصوصا أن ملاحمهم الاستعراضية يحدث عن أن لا تقتصر على التشجيع، بل تتجاوزه إلى الهجوم بالأهازيج والأغاني اتجاه الخصوم الرياضيين واتجاه جهات سياسية معينة، ولهذا لا يستغرب أن يعطي أفراد الألتراس ظهورهم للملعب خلال وقت غير يسير من المباراة (مركز هردو، 2016).

ومن أهم ما يميز روابط الألتراس هو التمرد، التمرد على الهياكل التقليدية من إدارات النوادي وروابط التشجيع الرسمية، التمرد على الجمهور التقليدي في طرق التشجيع والمتابعة، والتمرد على المجتمع في نقد ومهاجمة كثير من الظواهر الاجتماعية عبر الشعارات والأهازيج المرفوعة، وكذلك التمرد على النمط الثقافي التقليدي في عدم الانضباط سوى بروح المجموعة والنادي والتضحية في سبيله حتى بالعلاقات الأسرية والعائلية، خصوصا أن جل أفراد الألتراس هم من المراهقين بين سنة ال15 وال 20(مركز هردو، 2016) (تفروت، ل، 2015).

وحسب من يتابعون ويحللون الظاهرة فإن رابطة الألتراس تقوم على مجموعة ركائز معينة:

- الباتش (BATCH)، أي الرمز أو الشعار أو اللوجو، وهو عبارة عن لافتة كبيرة يتجاوز طولها العشرة أمتار، وتحمل شعار المجموعة وألوان الفريق، وهذا الشعار يتم تصميمه وتحضيره بعناية من أعضاء الرابطة، ويحضر دوما في مقدمة المدرج للتعريف بالمجموعة.
- التيفو (TIFO)، وهي كلمة إيطالية تعني (المشجع)، وهي عبارة عن طلعة استعراضية فنية بها مسحة من جمال وإبداع في بداية المباراة، تحمل فكرة تشجيعية ورسالة معينة.
- روح الألتراس، وهو الدافع الذي يوحدهم ويعطيهم الحماسة للتشجيع والتضحية من أجل الفريق، وهذه الروح تولد من الحب المتطرف للفريق، ومن كثرة ملازمته والتعلق به، وكذلك هي إحدى مخرجات التجمع والاحتشاد، فيما يسمى بسيكولوجيا الحشد، حيث يشعر الأفراد بالانتماء لتلك المجموعة حد الذوبان.
- لا يتوفر الألتراس على قائد محدد، ولا يوجد له قائد، بل تتولى مجموعة جزئية من المؤسسين ذلك، وبعد من الزمن يزول تأثير تلك المجموعة وتظهر مجموعات جزئية أخرى، تأخذ مكانتها بسبب ما تبذله أثناء التحضير والتضحية من أجل المجموعة الكبرى (تفروت، ل، 2015).

2- الجذور التاريخية للظاهرة:

منذ تزايد الزخم الكبير حول لعبة كرة القدم وتحولها لظاهرة عالمية تحظى بالمتابعة والاهتمام، سجل المتابعون والصحفيون وجود العديد من المناصرين الأوفياء لفرقهم، مثل المثال الحاضر في وقتنا الحالي، الاسباني (مانولو)، الذي يتطرف في حب ومتابعة الفريق الوطني الإسباني وينتقل خلفه من مكان لمكان(اليوم 24، 2019)، ولكن ذلك كان يتم بشكل فردي ولا يتعدى عدد من يقوم به بضعة عشرات، ولا يترتب عليه أي ظاهرة غير التشجيع المباشر للفريق(تفروت، ل، 2015).

لكن الظاهرة المقصودة والتي تعنى بها المجموعات أكثر من الأفراد، تختلف المصادر حول تاريخ ظهورها بالضبط، لكن تشير بعضها إلى أن أول وجود للظاهرة يعود إلى سنة 1929 بالمجر، حيث أسس أنصار نادي (فرنسفاروش) الشهير رابطة مشجعين من هذا الطراز(تفروت،ل، 2015)، لكن يذهب كثيرون لكون ظاهرة الألتراس سجلت فعليا بالبرازيل سنة 1940، عندما تم تأسيس مجموعة ألتراس (التورسيدا) (TORCIDA)، لكن الظاهرة لم تعرف الشهرة إلا بعد انتقالها إلى أوروبا وخاصة إيطاليا في الستينيات، نتيجة كثير من الظروف والعوامل الخاصة(خميس، أ، 2012، ص17).

تسلت الظاهرة إلى أوروبا عبر أنصار فريق (هايدوك سبليت) الكرواتي- اليوغوسلافي سنة 1950، ثم إلى إيطاليا في الستينيات، ثم دخلت إلى فرنسا في الثمانينيات عن طريق أنصار فريق مرسيليا، الذين شكلوا مجموعة (ألتراس كوماندو)، وانتقلت بعدها الظاهرة إلى بريطانيا وباقي البلدان الأوربية، وتتميز إيطاليا بكونها مهد لأكثر مجموعات الألتراس الأوربية عنفا وتطرفا نتيجة ذلك الخلاف العنصري والعداوة الشديدة بين سكان وفرق الشمال وسكان وفرق الجنوب(تفروت، ل، 2015).

أما عربيا فيشار إلى أن أول محاولة لتأسيس روابط مشجعين بهذا النمط كانت في ليبيا في الثمانينيات، ربما بسبب التأثر بإيطاليا القريبة، لكن نظام القذافي منع حدوث ذلك بالقوة وقمعها في بدايتها(صوت ألمانيا، 2019) ، وكانت تونس هي أول بلد عربي ظهرت فيه أول مجموعة الألتراس رسميا، في منتصف التسعينيات من خلال مجموعة أنصار النادي الإفريقي (الأفريكان وينرز) سنة 1995، ثم انتقلت إلى باقي الأندية التونسية مثل الترجي الذي له ثلاث مجموعات (المكشخين، السوبراس، والبلود أند جولدي)، انتقلت الفكرة بعد ذلك إلى المغرب، حيث صار يحتوي على أكثر من 50 مجموعة ألتراس، أبرزهم مجموعة (الوينرز)، التي تشجع فريق الوداد، ومجموعة (القرين بويز، إلترا إيغلز، قرين غلادياتور)، التي تشجع فريق الرجاء البيضاوي(الشريف، أشرف، 2012، ص- ص 87-83) (تفروت، ل، 2015).

وانتقلت الظاهرة إلى مصر سنة 2007، فظهرت مجموعة (ألتراس أهلاوي) المشجعة لفريق الأهلي، ومجموعة (ألتراس الفرسان البيض، White- Knights)، المشجعة لفريق الزمالك،

و(النسور الخضر، Green Eagles)، وهم أنصار النادي المصري البورسعيدي(مركز الروابط، 2015).

وبالنسبة للجزائر، ورغم أن ظاهرة وجود مجموعات تناصر فرقها بتطرف قديمة، وحتى رغم وجود مجموعات تمارس نفس طقوس الألتراس، من غناء وتيفو و تنقل دائم خلف الفريق، مثل أنصار اتحاد العاصمة، لكن رسميا ظهرت أولى مجموعات الألتراس بهذا التسمية والوصف سنة 2006، وانتشرت عبر كامل ملاعب البلاد، وحيث توجد فرق كروية خاصة العريقة منها، فولد (ألتراس سيرتادو) الذي يناصر شباب قسنطينة سنة 2006، و(ألتراس ميغا بويز)، لمولودية سعيدة سنة 2007، و(ألتراس ثي توالف بلاير) الخاص بمولودية العاصمة سنة 2006 و(ألتراس فيرديليون) 2008، (ألتراس أوراس بويز) لشباب باتنة سنة 2009، و(ألتراس فانتيك ريدز) لشباب بلوزداد سنة 2009 و(ألتراس كوماندوس) التابع لفريق برج بوعريريج سنة 2007 (خيرت، ع، 2013).

3- دور الثورات العربية في تطور الظاهرة:

رغم أن ما تحدثنا عنه يثبت أن ظاهرة الألتراس سابقة للثورات العربية التي انطلقت نهاية سنة 2010، لكن هناك تشابك وتداخل بين تلك الثورات وبين مجموعات الألتراس، حيث لعبت تلك المجموعات دورا مهما في تلك الأحداث، سواء بالتمهيد لها من خلال التحول إلى فضاء للتعبير الحر مما ساهم في تأجيج روح التمرد لدى الشعب أو من خلال مشاركة أفرادها مباشرة في الأحداث، ولا يمكن للمتابع أن ينكر دور الألتراس سواء في ثورة مصر سنة 2011 أو في حراك الجزائر سنة 2019.

قبل الثورات العربية كانت مجموعات الألتراس تقدم عروضا أقرب إلى الفرجة، لكن يخلو مضمونها من التعبير السياسي المباشر، أو على استحياء، وإن حاولت في النادر تقديم مضمون سياسي كانت تواجه بقمع وتدخل أجهزة الأمن، وهناك أمثلة عديدة عن ذلك حدثت في المغرب وتونس، ولكن هذا لم يكن يمنع أبدا تلك المجموعات من توظيف شخصيات ورموز سياسية تاريخية، في التعبير عن تمردها ورفضها للوضع المعاش مثل شخصية وصورة الثائر تشي غيفارا (الجويلي، م، بلحاج محمد، ط، 2017، ص12).

وعندما اندلع الاضطراب السياسي في مصر سنة 2011 لعبت روابط الألتراس دورا حاسما وأساسي في قيامه وتطوره ونجاحه، حيث كانت تلك المجموعات هي من اقتحمت الميادين، غير آبهة بتحذيرات الشرطة، بل تثبت المصادر أن تلك الروابط لعبت دورا محوريا في الدعوة للتظاهر يوم 25 يناير 2011 ضد النظام، حيث انتشر فيديو على اليوتيوب يحث الشباب على النزول إلى الميادين للتظاهر وتعهد لهم بوجود فصيل منظم سيحميهم من قمع الشرطة، وعرض مقاطع لصدامات لمجموعات الألتراس ورجال الأمن، كما انتشرت على صفحات أفراد المجموعات دعاوى صريحة للخروج والتظاهر(خميس، أ، 2012، ص17).

ويوم الثورة الأول 25 يناير ورغم الاحتياطات الأمنية الكبرى التي اتخذتها الشرطة في مواجهة فئة المناضلين السياسيين، الذين جرت العادة أن يتم قمعهم وتفريقهم بسهولة لكن أجهزة الأمن والدولة فوجئت بتدفق رهيب لمئات الآلاف من الشباب على الميادين، ظهر بعد وقت قصير أنه من العبث التعامل معهم أمنيا، وفشلت خطة أجهزة الشرطة وأسقط في أيديها، وتمكن أولئك الشباب من احتلال الميادين وفرض كلمتهم(خميس، أ، 2012، ص17).

وتعود قدرة روابط الألتراس للتأثير في تلك الأحداث لمجموعة عوامل موضوعية:

- القدرة على الحشد حيث كانت الرابطة الواحدة تضم مئات الآلاف من المنخرطين، وهو ما عجز عن ضمانه أي حزب سياسي عريق.
- التنظيم الكبير الذي كانت عليه تلك الروابط حيث أنها تتحرك جماعيا، وتربطها عقيدة قوية تدفعها للاستماتة في التكاتف والدفاع عن أعضائها، بل في الوقوف سد منيع في مواجهة أجهزة الأمن.
- طبيعة أفرادها الذين هم في الغالب شباب ومراهقون ولا يأبهون كثيرا بعواقب الأمور.
- ذهنية التمرد التي تطبع أغلب أفرادها، وتجعلهم في حل من التزام بالقوانين والأعراف السائدة، وغير معترفين بأي سلطة وشرعية مهما كانت قوية وباطشة.
- سنوات الصدام مع الشرطة، والتي ولدت لدى أفراد الألتراس مناعة خاصة ضد الخوف من بطش أجهزة الأمن، بل راكمت لدى عناصر تلك الروابط خبرات كبيرة في كيفية التعامل مع القمع ومجابهة أساليب أجهزة الأمن العربية في إجهاض الثورات والتحركات الشعبية(سيد، م، زيادة، أ، 2016، ص ص167، 168).

فتحدث بعض الشهود عن المشاهد الملحمية التي قام بها أفراد الألتراس من يوم 25 وحتى يوم 28 يناير 2011 في مواجهة عصي الشرطة وخراطيم المياه، واستماتتهم في الميادين وعلى الجسور لحماية الشعب والمتظاهرين، وتقدمهم الصفوف وتقديمهم لتضحيات كبرى وسقوط العديد منهم قتلى وجرحى، ونقلت العديد من الصحف عبر مراسيلها المحليين تلك الأخبار عن ذلك الدور المشهود الذي لعبوه(الشريف، أ، 2012، ص77).

أما بالنسبة للجزائر فلا شك أن مجموعات الألتراس لعبت دورا كبيرا في نشر الرفض السياسي في حقبة ما بعد ثورات 2011، حيث بدأت الأهازيج السياسية القوية تغزو الملاعب، وصارت هناك أغاني تؤلف خصيصا للتعبير عن رفض الواقع السياسي القائم، واشتهر أنصار فريق اتحاد العاصمة على الخصوص بهذا السلوك ثم تبعهم أنصار مولودية الجزائر وغزل على منوالهم باقي أنصار الفرق الجزائرية(الجزيرة نت، 2019).

وفي مقال للصحفي الفرنسي (ميكائيل كوريا MICKAËL CORREIA) بمجلة لوموند ديبلوماتيك، شرح كيف أصبحت أغاني الملاعب في الجزائر ثقافة موسيقية منذ 15 عاما، ومن أشهرها فرقة مشجعي مولودية الجزائر التي أطلقت في يناير 2019 الماضي أغنية "عام سعيد" التي

تنتقد بشدة تآكل النظام القضائي وتتهم ضمنا السعيد بوتفليقة الأخ والمستشار الخاص للرئيس المستقيل (Correia, M, 2019, p10).

ويجمع كثيرون على الدور الذي لعبه أنصار الفرق العاصمة على الخصوص في اندلاع أحداث حراك 22 فيفري، حيث كانوا هم وقود تلك الاحتجاجات العارمة وهم من وفروا لها السند الشعبي الضروري، بل هم من زودها في بداياتها بالأغاني والأهازيج التي كانت تلهب حماس المتظاهرين، وهو ما يشير له الصحفي الفرنسي كويا عندما يتحدث عن أهمية الأغاني الرياضية في الحراك الجزائري، حيث أعلن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة استقالته والحشود تغني "لا كاسا ديل موراديا"، وهي أغنية أنصار الاتحاد الرياضي لمدينة الجزائر العاصمة التي أصبحت ترنيمة الاحتجاجات منذ يوم الجمعة 22 فبراير، شباط تاريخ أول مسيرة سلمية ضد النظام (Correia, M, 2019, p10).

ويستحضر عنوان الأغنية القصر الرئاسي الذي يتماهى مع قصر بابل في مسلسل تلفزيوني إسباني يضم مجموعة من اللصوص المحترفين، في تعبير عن "اشمئزاز" ويأس الشباب الجزائريين من استمرار الوضع السيئ الذي تعيشه البلاد، كما يقول الكاتب(Correia, M, 2019, p10).

لقد ساهمت روابط الألتراس في نشوء ثورات الدول العربية، لكنها أيضا تأثرت تأثرا كبيرا بها، فقد ارتفع سقف حريتها وتحولت شعاراتها لتصبح ذات صبغة سياسية لا تخطئها العين، ومن القاهرة وحتى ملعب محمد الخامس بالدار البيضاء مرورا بملعب خمسة جويلية بالجزائر العاصمة، أصبح الجمهور العام موعود بالفرجة والمتعة على الطلعات الأغاني السياسية المقدمة من قبل روابط الألتراس.

لقد تصاعدت وتيرة تسييس الألتراس والانتقال من مساحات التشجيع الرياضي إلى الاحتجاج السياسي وممارسة العنف ومناوأة السلطة إثر الثورات العربية، وعلى الرغم من تفاوت الحراك الاحتجاجي في الدول العربية، فإن مجموعات الألتراس لا تزال تحتفظ بقوة وقدرة على الفعل، ففي مصر اشتبكت مجموعات ألتراس (أهلاوي) مع قوات الأمن بمحيط النادي الأهلي بعد محاولتها اقتحام النادي في 23 ديسمبر 2014، وذلك عقب بيان أصدرته فصائل ألتراس الأهلي في 12 ديسمبر، يتضمن رفضًا لقرارات منع حضور الجمهور للمباريات، وتهديدًا باقتحام الملاعب وحضور مباريات النادي بغض النظر عن رفض وزارة الداخلية.

كما كانت هناك صدامات بين قوات الأمن وألتراس (وايت نايتس)، عقب إعلان رؤساء عشرة أندية مصرية، في 14 سبتمبر 2014، عن اعتبار روابط الألتراس جماعات إرهابية بسبب الأعمال التخريبية التي قامت بها هذه المجموعات خلال الأعوام الماضية، وتكليف رئيس نادي الزمالك مرتضى منصور برفع دعوى قضائية للمطالبة بحلها، مما أدى إلى تأجيج الاحتجاجات من جانب روابط الألتراس ضد رؤساء الأندية، واندلاع اشتباكات متتالية مع قوات الأمن.

بينما شهدت المغرب اشتباكات دامية بين مجموعات الألتراس، على غرار الصدامات بين

ألتراس (عسكري) المساند لنادي الجيش الملكي ومشجعي فريق الدفاع الحسني، في 20 أكتوبر 2014، والتي تخللتها اشتباكات مع قوات الأمن بسبب رفض المشجعين مصادرة شعاراتهم وأدوات التشجيع، وهو ما أعقبه في 28 ديسمبر 2014، تعرض مشجعي الجيش الملكي لاعتداءات من جانب مشجعي الفريق الخصم أسفرت عن سقوط عشرات الجرحى، ولعل تكرار أحداث العنف والشغب بين مجموعات ألتراس (بلاك آرمي) وألتراس (عسكري) وجماهير القنيطرية المغربية، هو ما دفع وزير الداخلية المغربي محمد حصّاد للتهديد بحل روابط الألتراس في مطلع نوفمبر 2014 (مركز الروابط، 2015).

4- الألتراس كظاهرة اجتماعية وسياسية:

حسب كثير من المحللين لقد ولدت ظاهرة الألتراس ليس فقط نتيجة ملابسات التشجيع الكروي وعشق اللعبة، ولكن أيضا نتيجة كثير من العوامل الاجتماعية، ففكرة الانتماء لحاضنة وأخوية كبيرة هو بالأساس نتيجة الاغتراب الذي تعيشه كثير من الأجيال الصاعدة، التي تشعر بغياب كلي للدولة والمجتمع في رعايتها وتلبية طموحاتها العاطفية والمعيشية، ولذا بحثت عن إطار آخر تجد فيه نفسها(مركز هردو، 2016).

إن تلك الروابط هي متنفس للشباب والمراهقين في مواجهة ذلك الكبت والقمع الذي يسود البلاد العربية، وهي نوع من الفضاء التعبيري، بل مكان يستطيع فيه الجيل الذي لم تتح له كثير من فرص النجاح ليبدع ويخرج أشياء ذات مسحة جملية، ولها علاقة بشكل أو آخر بالفن والإبداع (الشريف، أ، ، 2012، ص79).

وهاته الظاهرة الاجتماعية تغذي لدى الشباب مجموعة حاجات نفسية:

- الديناميكية والحركية: التي لم يجد الشباب الذي يعيش في دول فقيرة ومتخلفة مكانا ليفجرها فيه.
- رفض الوصاية العائلية، حيث يبحث المراهقون والشباب عن فضاء ومكان يتحررون فيه من كل القيود، ويتمردون على كل القوانين والنظم السائدة.
- الإيجابية والإبداع: بخلق أشياء جميلة ومعبرة تبحث عن بيئة ووسط لتنبت وتتطور.
- البحث عن إثبات الذات، بإسماع الصوت وخلق كيان اجتماعي وعلاقات وأعمال، وبصناعة تحدي يسعى الشباب لبلوغه وكسره.
- البحث عن البهجة والمتعة، في أوساط مغلفة بالكآبة والضجر والموت البطيء(الشريف، أ، 2012، ص80).

كما أن ظاهرة الألتراس ساهمت أيضا مساهمة وفيرة في صياغة واقع اجتماعي جديد، كونها أضحت منافسا للأطر الاجتماعية التقليدية الأسرة والمدرسة والجماعات الدينية، ومن خلال ما ترتب عنها من علاقات اجتماعية بين عناصرها، ونمط معيشة يفرضه التنقل الدائم خلف

الفريق، وكذلك من تحول في ذهنية أفرادها، حيال العنف والعلاقة بالمجتمع والدولة(الشريف، أ، 2012، ص80)(السامعي، ع، 2018).

أما علاقة الألتراس بالسياسية، فإن تأثير تلك الروابط وتأثرها بالأحداث السياسية، لا يدع مجالا للشك في كونها أضحت ظاهرة سياسية، بل عامل تأثير غاية في الأهمية في الساحة السياسية يوازي عمل الأحزاب التقليدية والتيارات الفكرية، التي طالما احتلت ميدان النشاط السياسي، بالرغم من حرص أغلب المحللين على نفي علاقتها بالسياسة وتنزيهها دوما عن الأغراض السياسية، لكن مراجعة دورها في ما شهدته المنطقة العربية من أحداث سياسية منذ ظهور تلك المجموعات يؤكد علاقتها المباشرة بالسياسة(كوماندوز، ع، 2013).

فخصوصية الألتراس في كونها جماعة رياضية متماسكة، مكمن قوتها في خزان الشباب الذي تحتويه، وكذلك في الانتشار في أرجاء الدولة، والتضامن، والتماسك، والجماعية، ووجود لغة ومصطلحات مشتركة، ورموز وأعلام وتفاهمات خاصة بأفرادها، وتقنيات للتشجيع الجماعي الحماسي، فضلا عن روابط الانتماء والولاء الوثيقة التي تربط عناصرها بالنادي الذي ينتمون إليه، علاوة على كونها مجموعات مسطحة بلا رئيس ولا بنية هرمية، كلها تدفعها دفعا للارتماء في ميدان السياسة(مركز الروابط، 2015).

وهناك كثير من الدوافع نحو انخراط تلك المجموعات في السياسة(مركز الروابط، 2015):

- نزعة التمرد: تسيطر على جماعة الألتراس ذهنية التمرد، ورفض السلطة بما فيها سلطة إدارة النادي الذي يقومون بتشجيعه نتيجة سيطرة الشباب على تكوين هذه المجموعات ممن يغلب على تفكيرهم الاستقلالية، ورفض القواعد التي يعتبرونها بمثابة قيود على الإبداع في التشجيع، فضلا عن ميلهم الفطري للمخاطرة والتصعيد، باعتبارها سلوكات تظهر التميز الفردي، وهو ما يجعل انضمامهم للحركات الاحتجاجية أكثر احتمالية، على غرار مشاركتهم في الاحتجاجات في دول الثورات العربية خاصةً في مصر وتونس.

- رفض السلطة: يتجلى رفض السلطة لدى مجموعات الألتراس في توتر علاقتهم بالشرطة، ورفعهم شعارات عالمية الانتشار مناهضة للشرطة مثل (A.C.A.B) وهو اختصار لعبارة معناها "كل الشرطة أوغاد" تعبيرا عن العداء المستحكم ضد عناصر الشرطة، وهو ما يتجلى في الاشتباكات المتكررة مع قوات الأمن التي تتولى تأمين مباريات كرة القدم، وترديد الألتراس لأغاني معادية للشرطة خلال التشجيع، خاصة في ظل منع الشرطة لأدوات التشجيع التي يعتمد عليها الألتراس، مثل الشماريخ وزجاجات المياه والعصي المستخدمة في رفع الأعلام، وهي الأدوات التي تستخدم في أعمال الشغب.

- استخدام العنف: يرتكز الألتراس على فكرة الدفاع عن النادي ضد المنافسين، واعتبار مجموعات الألتراس المنافسة كخصوم، وهو ما يتجلى في ثقافة الألتراس في بعض دول المغرب

العربي خاصة، والاشتباكات التي عادة ما تتكرر بين مشجعي الأندية الرئيسية في المغرب والجزائر، والتي تتدرج بداية من محاولة سرقة أدوات التشجيع الخاصة بالخصوم مرورا بالتراشق بالألفاظ والاشتباكات بالأيدي وانتهاء بالعنف وأعمال الشغب الجماعية، وعلى الرغم من رفض بعض قيادات ومجموعات الألتراس لهذه الممارسات، فإن تعدد المجموعات ولا مركزيتها وافتقادها قيادة أو بنية تنظيمية مؤسسية يصعب من احتواء العنف.

– الانتماء البديل: تقوم مجموعات الألتراس على اعتبار النادي بمثابة دائرة الانتماء الأول قبل الانتماء الوطني بسبب حالة النفور التي انتشرت لدى الشباب في بعض الدول العربية من الأنظمة، واختلال العلاقة بين المجتمع والدولة، ومن ثم يميل أعضاء الألتراس للتعظيم من ناديهم، واعتباره "وطنا" و"دولة" لها كافة المقومات المعنوية للانتصار والمجد، ونتيجة لهذا التعارض بين دوائر الانتماء يميل الألتراس إلى رفع شعارات الحرية، ورفض الضوابط والقيود التي تفرضها قوات الأمن، وهو ما يؤدي إلى تأجيج التوترات والصدامات بين الأمن والألتراس.

–الاستقطاب السياسي: وهذا بسبب ميل أفراد الألتراس إلى مناصرة القضايا العادلة مثل قضية فلسطين والهتاف لها، ومناصرة الرموز السياسية أو الرياضية المظلومة، مثل ما يحدث مع أبو تريكة في مصر، ومع بعض الرموز السياسية في العالم العربي.

خاتمة:

جاءت ظاهرة الألتراس كتطور طبيعي في سلوك مشجعي كرة القدم في أمريكا الجنوبية وأوروبا، حيث تحظى اللعبة بشعبية جارفة تحولت بموجبها لهوس عارم وحياة يومية، وحيث يتعلق الناس هناك بأنديتهم وبنجومها، ومع انتقال الظاهرة لإيطاليا أخذت زخما مضاعفا نتيجة خصائص إيطاليا والإيطاليين، وذلك العنف المستشري بين المشجعين والكره الموجود بين سكان الشمال والجنوب.

وفي العالم العربي ظهرت مجموعات الألتراس كامتداد لوجودها العالمي، وكأحد مخرجات العولمة، وانتشار المعلومة بين أركان المعمورة نتيجة كثير من التطورات التكنولوجية خاصة في ميدان الإعلام، وبرزت بداية في منطقة المغرب العربي باعتبار القرب الجغرافي من أوروبا والتأثر بما يجري بها، ثم انتقلت لمصر وسوريا والعراق والأردن.

وعلاوة على الطبيعة الرياضية للظاهرة، فأنها اكتست بعدا اجتماعيا وآخر سياسي، من خلال التأثر بالحياة العامة وبالأحداث السياسية والتأثير فيها، حتى باتت الظاهرة اليوم تستوقف المحللين السياسيين والاجتماعيين أكثر من الرياضيين، وبلا شك فإن هاته الظاهرة اليوم قد تجاوزت حدود الرياضة وخرجت عن نطاق سلوك التشجيع المعروف للتحول لنسق سياسي واجتماعي ملحوظ.

ولا شك أن هذا الموضوع هو مادة دسمة لكثير من الدارسات السياسية والاجتماعية للوقوف أكثر على تفاصيله وحيثياته وتأثيراته، والإلمام بمزيد من المعلومات عن الجذور الحقيقية للظاهرة وعن تطورها ومستقبلها.

المراجع والمصادر:

- **المراجع العربية:**

1- أكرم خميس، ثورة جيل ألتراس، تقديم : محسن عوض، ممدوح سالم، ط: 1، نشر المنظمة العربية لحقوق الإنسان، القاهرة، 2012.

2- أشرف الشريف،" ألتراس- المجد لنظيرة البهجة"، مجلة فصول، العدد: 80، شتاء 2012.

3- لحسن تفروت، سوسيوليوجيا جمهور كرة القدم "الألتراس المغربي نموذجا"، سوس رياضة، 06 جويلية 2015.

4- محمد الجويلي، طارق بلحاج محمد، "مجموعات الألتراس، الإبداع الشبابي ومخاطر التوظيف"، جريدة العرب، العدد: 10669، 20 جوان.

5- مركز هردو للتعبير الرقمي، أزمات الألتراس، بين السياسة والرياضة، نشر مركز هردو، القاهرة، 2016.

6- عبد الله كوماندوز، الإسم ألتراس، تقديم حسن المستكاوي، دار المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

- **مواقع الأنترنت:**

1- اليوم 24، موقع: https://www.alyaoum24.com/1070797.html، استرجع بتاريخ : 05 أفريل 2019.

2- صوت ألمانيا، "الأتراس، مشاغبو ملاعب أم أصحاب قضية ؟ " https://www.dw.com/ar، أسترجع بتاريخ: 20 أبريل 2019.

3- مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، "إشكاليات الاستيعاب: الأدوار السياسية لمجموعات "الألتراس" في الدول العربية"، 05 يناير 2015، موقع: http://rawabetcenter.com/archives/2486، استرجع بتاريخ: 20 أبريل 2019.

4- عبد الحميد خيرت، "الألتراس.. حركة سياسية أم انتماء رياضي؟"، المركز العربي للدرسات، 29 ديسمبر 2013، موقع: http://www.acrseg.org/2256/bcrawl، استرجع بتاريخ: 20 أبريل 2019.

5- الجزيرة نت، "مدرجات الملاعب، رأس الحربة في الحراك الجزائري"، موقع الجزيرة، https://www.aljazeera.net، استرجع بتاريخ: 20 أبريل 2019.

6- عيبان محمد السامعي، "رياضة كرة القدم.. مقاربة سوسيولوجية"، الحوار المتمدن، العدد: 5903، 14 جوان 2018، موقع: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=602310&r=0، استرجع بتاريخ: 21 أبريل 2019.

- **المراجع الأجنبية:**

7- MICKAËL CORREIA, En Algérie," les stades contre le pouvoir, le monde diplomatique", Mai 2019, p: 10.